سيتذكرني العالم

اسم العمل : سيتذكرني العالم
النوع : قصص قصيرة
تأليف : أحمد المدني
تصميم الغلاف : إسلام البلاط
إخراج داخلي : عبدالقادر فايز
الطباعة : اتيليه تاتش – المحروسة
الناشر : الدار للنشر والتوزيع
المدير العام : محمد صلاح مراد
تليفون : ٠١١٢٥٨٠٠٤٦٧
البريد الإلكتروني : eddar_press@yahoo.com
فيس بوك : www.facebook.com/eldarpublish
رقم الإيداع : ٢٠١٨/٢٧٧٥
الترقيم الدولي : I.S.B.N.: 978-977-702-210-1

سيتذكرني العالم

قصص قصيرة

أحمد المدني

الدار
للنشر والتوزيع

٢٠١٨

إهـــداء

زوجتى الحبية، أم أطفالى، من تحملتنى كثيراً، من عانت معى، من صبرت واحتسبت، لكِ منى كل تقدير ووعد منى أن أكون معكِ فى المعاناة القادمة يداً بيد.

أحمد المدنى

لا يستطيع أحد ركوب ظهرك إلا إذا إنحنيت

(مارتن لوثر كينج)

تقديم

"سيتذكرنى العالم".. مجموعة قصصية جديدة للكاتب المهندس الشاب أحمد المدنى .. تعتبر هى العمل الثانى له على مدار عامين متواليين.. موقنة أنا عزيزى القارئ بأنك لن تغادر كل قصة إلا وقد ارتسمت على شفتيك ابتسامة وعلى وجهك اندهاشة ..نعم فهذين الأمرين هما حرفة أحمد المدنى.

ستحبون فى تلك القصص القصيرات خفيفات الظل اللاتى ينطوى عليهن هذا العمل روح الدعابة والاختلاف.. وسيجذبكم الحوار الماكر.. وغالباً ما ستصدمكم النهايات.

اعلم أن قلم أحمد المدنى خفيف الظل لا زال أمامه الكثير ليقدمه .. فهو ككاتب يتحسس طريقه الأدبى بولع شديد وإصرار أكبر على ترك بصمة مختلفة فى هذا الدرب .. لذا فهو يقول بثقة كبيرة "سيتذكرنى العالم".

د/ نشوى صلاح

عتاب

توجهت لساحة الكتابة الخاصة بى، أنا على يقين أن كل الشعراء، الأدباء، الصحفيين لديهم ساحة من الفراغ الملكوتى حيث ينفردون آملين فى نزول الوحى، ذهبت هناك للاطمئنان على وحيى الذى فارقنى منذ أكثر من شهر فوجب السؤال عليه.

وصلت إلى مكانى فى الساحة، هو مكان يبعد عن أماكن العمالقة أمثال طه حسين، عباس العقاد ، أحمد شوقى وغيرهم الكثيرين من العمالقة الذين لن يكفى الحديث عنهم فى صفحاتى كلها، فليلتمسوا لى العذر.

الساحة خاصتى توجد فى مكان متوارٍ تظلله الأشجار، هو قريب من بحر هادىء يأتى بأصوات رقراقة تساعد الفكر على الإبداع، فلا أحد قط قد سمع عن هذا المكان، فهو ملك لى وحدى، أرحب بالجميع إن أرادوا زيارتى فى ذلك المكان.

انتظرت الوحى ساعات دون جدوى فهرعت أبحث عنه فى كل صوب وجهة، بدأت أنادى عليه بكل ما أوتيت من قوة، أيها الوحى، أين أنت؟ ، هل أنت بصحة جيدة؟ ، أم أصابك مكروه؟،

هل تعرفت على أحد سواى، أصبحت مصدر الهامه؟ ، ها أنا مستعد للمواجهة، صارحنى بالله عليك، أعتقد أنه من أقل حقوقى عليك بعد عمر قضيناه سويا، تحملتك كثيراً فى أفكار دون المستوى لا تخرج إلا من وحى هاوٍ، انتظرت منك افكارا نادرة لم تأتِ على بال مخلوق قبلك، هيا واجهنى إن كنت وحياً، قل لى سئمت العيش معك، قل لى أنها مجرد نزوة وسوف تعود ، سأغفر لك بالتأكيد، أنا لست بناكر للجميل، لا تتركنى دون إبداء أسباب منطقية للرحيل.

وسط البراكين التى كانت تخرج من عيناى وأنا أوبخه، سمعت صوتاً مبحوحاً يقول لى باكياً، هل تحدث أحد مع وحيه سواك، ألا تنظر حولك قبل أن تنهرنى وتعنفنى بهذا الشكل، عن نفسى أنا لم أتركك أبداً، لكن حياتك قاسية، كثيرا ما تنشغل عنى بطلبات مديريك فى العمل، تتذكر دائما وعيدهم إن لم تفعل ما طلبوه منك، فضلاً على إهتمامك بزوجتك وبابنك، هذا الطفل المدلل الذى ما أن ترتفع درجة حرارته شرطة مئوية واحدة إلا وتصرخان أنت وزوجتك، كيف لى أن أبقى فى بيت لا ينعم بالهدوء والسكينة، فضلت ان أجلس على القهوة التى توجد اسفل منزلك، تعلمت شُرب الشيشة، لكننى آتى إليك كل يوم فى منامك، إن وجدت فقرة خالية فى أحلامك أحتلها على الفور بأفكار مبتكرة،

لكنك تستيقظ وتنسى كل شىء، لا تظلمنى، لا تحملنى ذنب لم أقترفه، هذه هى الحياة، لن تستطيع الحصول على كل شىء فى آن واحد، عليك بإعادة ترتيب أوراقك.

هل تحممت بعطر؟

سرحت فى كلمات تلك القصيدة، هل توجد حقاً تلك المرأة؟ تقول لزوجها مثل هذا الكلام الحالم! تستحثة على تنظيف جسده برقة! شتان بينها وبين هذا الكوع الذى فوجئت به فى جنبي، عبارات تستحق الدراسة مثل ما قيل لى يوماً ، "مش هتليف الجتة بقى"، أو "الجلخ هينشف عليك ومش هتعرف تشيله"، هى لم تأتنى من الأساس بعطر حتى أتحمم به، عندما أنتهى من الحمام أتفاجأ بالمنشفة تحمل رائحة البصل والثوم، أعود كما ذهبت.

سأبدأ بنفسى، أبتاع لها عطراً ذو رائحة أخاذة، طقم فوط جديد مثلما يأتى فى التلفاز، أحضر لها الحمام، أدعوها بحنو لم تره من قبل، بالفعل سألت أصدقائى عن أحدث العطور، وضعته فى عبوة على شكل قلب، تفتحها فتبدأ موسيقى كلاسيكية فى العمل تلقائياً، إنارة خافته، رتبت الغرفة، وضعت وروداً على السرير بأحرف أسمها، أرسلت الأولاد عند عمتهم، فعلت كل ما أعلمه من أفعال المراهقين.

تـُحضر الطعـام، ناديتهـا، أتـت، تـربط رأسـها قطعـة قمـاش مـن جلبـاب قـديم، كـل هذا متوقـع، لـم أنـدهش، ضـغطت مـرتين علـى زجاجة العطر.

– وده جايبة لمين إن شاء الله؟

– ليكى طبعا يا حياتى.

– وده وقته؟ شايفنى كفرانة فى شغل البيت ولسه بتعطلنى.

– تعالي بس، يولع شغل البيت.

وجهت نظرها نحو الورود، رأتها وابتسمت.

– يووه بقى، إحنا كبرنا ع الكلام ده.

– ولا كبرنا ولا حاجة، بقولك إيه، وحشتينى.

– شكلك عامل مصيبة، وفاكر كده هتداريها، مش عليا الكلام ده.

– ولا عاملة ولا حاجة.

– أمال مين اللى قالك على الريحة دى؟ مش اللى بتخونى معاها! مش بعيد تكون جايبها ليها أصلاً وهى كرفتك.

تمنيت أن أصفعها على وجهها لكن تماسكت.

– يا ستى أنتى مراتى حبيبتى، مفيش غيرك فى حياتى.

– بكام البرفان ده، مش البيت أولى ؟

– مافيش حاجة تغلى عليكى يا حياتى.

– المهم الشو خلص على كده ولا فى فقرات تانية؟ قوللى بسرعة عشان الأكل هيشيط.

حاولت جاهداً ظبط النفس، تذكرت مقولة رفقا "بالقوارير".

– طب خدينى على قد عقلى وأقفلى "البوتاجاز" وتعالى أنا مش جعان.

– طب والعيال؟

– هياكلو برة.

– طب وأنا؟

– هأكلك بنفسى بعد شوية.

– بس أنا جعانة دلوقتى.

أنفجرت بصيحة عالية هزت أرجاء البيت

أخذت زجاجة العطر، أعدتها فى علبتها، أغلقت باب الشقة بشدة، ذهبت لمحل العطور.

– ينفع أرجع "القارورة" دى ؟؟

لغتنا

فوجئت بوجودها، تتحرك بسرعة شديدة، تصنع كلمات مضحكة وأخرى مبكية، تحوِّل من عنده حول لشخص بغيض، فجأة يُسجل هدفاً فارقاً عندما تسكن فى الأسفل . وهذا الرائد الذى أصبح عمالة زائدة بسرعة البرق. وهذه السيدة التى تنتظر مولود تتحول لشخص خامل إن غيرت وضعها.

هل تفهم أين تدب خطوتها القادمة؟ ، اللغة العربية تساعدها على الابداعً، تبحر بحرية بين سكنات الحروف، كم هو محظوظ من هيئته الظروف للعمل تحت مظلة لغة الضاد.

من يدرى لعلها لغة الصاد، وكانت النملة تقوم برحلة استكشافية وقت تسميتها بهذا الاسم.

مقابلة

تراودني عن نفسي، تستخدم جميع امكانياتها، المال، الجمال، السلطة.

صاحبة الشركة، مطلقة منذ حيبن، تطلبنى معها فى مأموريات تخص العمل، نذهب بسيارتها الفارهة، انا من أقوم بالقيادة، تتحسس يدى أثناء وضعها على ناقل الحركة، اعتذرتْ كثيراً مما يؤكد أن الموضوع مفتعل.

فى إحدى المأموريات الى الأسكندرية ونحن على طريق السفر، طلبت منى أن أوقف السيارة جانباً فهى تشعر بالدُوار، قدمتُ لها زجاجة مياه، اصطنعتْ الضعف، رفعْتها الى فمها، فتحت عينيها فى وهن، التقطتها بالكامل بين شفتيها، لامست يدها يدى، فى مشهد أشبه ما يكون بأفلام البورنو الرخيصة، شعُرت بالخجل، تنحنحت وترجلت خارج السيارة لتدخين سيجارة في محاولة مني للسيطرة على تلك المشاعر التى اجتاحتني، عدت بعد دقائق، اطمأننت عليها، أكملنا رحلة العمل.

استغفرت الله ، دعوته أن يكون فى صفي قبل أن تأتي قدمي فيما لا يحمد عقباه.

استمرت فى محاولاتها للنيل مني، تدعوني لمنزلها لتقوم بالتوقيع على بعض العروض التى نسيتها فى الشركة، أذهب وكلى حذر، مرة بعد مرة سأضعُف وأبدأ فى مجاراتها، احفظنى يا الله.

نادتني السكرتيرة.

– تفضل لعمل المقابلة الشخصية، سنخبرك بالنتيجة قريباً.

البطانية الذكية

كثيراً ما استيقظت في الليالى قارصة البرد لأجد زوجي ملتحفا بالبطانية وحده ، تاركني أنتفض من البرودة، لا ألومه فالشعور بالبرد ينسي أغانى الغرام.

راسلت شركة صينية لإيجاد حل لهذه المشكلة، فوجئت بأن ليس لديهم حلاً واحداً بل حلول عدة، عرضوا عليَ البطانية الذكية أو ال (أي–بلانكيت)، بطانية يتم برمجتها وتعريفها بأحجام الأشخاص وعددهم، وعدد ساعات النوم، كما يتم اختيار العقوبة التى تطبق على من لا يلتزم بحقوق الآخرين، مثلا إذا انفرد شخص ذو تسعين كيلو جرام بالبطانية تقوم على الفور بإصدار صفير عالي ناحيته لا يتوقف إلا إذا عادت الكيلوات المبرمجة تحت الغطاء بالكامل، هناك عقوبة رش مياة باردة على أذن المخالف، هنا شعرت أنني قد وجدت ضالتي.

وبالفعل تعاقدت على هذه البطانية الذكية، وصلت الشحنة بعد اسبوع من تاريخ التعاقد، انتهت مشكلة انفراد أحد أفراد العائلة بالغطاء، حتى إذا كان أحدهم ذاهبا للحمام يقوم بضغط أى ركن من أركان البطانية لإيقاف الإنذار لمدة خمس دقائق وإذا ضغطها

مـرتين يقـف الإنـذار عشـر دقـائق، لكـن المشـكلة الجديـدة التـى ظهرت هـى أننـا ننـام ونحـن نحتضـن سيقاننـا، فأقصـى طـول متـاح هو مائة وخمسين سنتيمتراً!

انتقال

المشهد الأول : روحين فى زكيبة

الجو صحو، الشمس منتعشة، لسعة برد تأتى من النافذة المفتوحة فى سيارتى، ما هذا الجو العظيم الذى ننعم به نحن سكان الأسكندرية، لم ينغص ذلك الشعور سوى تلك السيارة التى كانت أمامى فى الحارة المجاورة، دون سابق إنذار إنحرفت تلك السيارة إلى اليسار، لم يكن رد فعلى سوى (كلكس) عالى وما جاء على بالى من سُباب، يبدو أن (الكلكس) مع السُباب المتواصل لمدة ٣ ثوانٍ وهى اللحظات التى كبحت فيها سرعة السيارة، أوقفتها بالفعل لكن دون وجود روحى داخل جسدى، ليس من إثر الخوف، أعتقد أن عملاً خارقاً للطبيعة قد حدث.

وجدتنى فى لحظة واحدة إنسان له (كرش)، يرتدى قميصاً أزرقاً، يفتحه حتى منتصف صدره ليقلل من حالة التعرق، أقول لنفسى التى هى نفسه حالياً، (المصيبة إن هى عارفة إن مش بإيدى حاجة، أنا بعمل كل اللى يقدرنى عليه ربنا، شغل وبشتغل، برجع من الشغل، يادوب أكل لقمة، أنزل أسوق التاكسى بتاع أبوها، أرجع الساعة إتنين بليل، أبوس العيال و(أتلئح) جنبها لغاية ميعاد

الشغل، كل يوم على كده، شاليه إيه ده اللى عايزة تجيبة، مش فاهم، ده أنا بجمع مصاريف مدارس العيال بالعافية).

كل هذا كان يحدث وأنا أحاول جاهدا العودة إلى جسدى الأصلى، لكنى فضلت البقاء مع روح الأستاذ بلال كى أعرف كيف سيتصرف مع لبنى، أوقف أستاذ بلال السيارة جانباً، و، و، وماذا تفعل يا أستاذ بلال.

(ما ينفعش اللى أنت بتعمله ده ، المهم راح رافع البنطلون ورجع العربية، رجعنا للسيارة، روحى وروح أستاذ بلال، لقيته بياخد علاج لمرض السكرى، عزرته، أنا اللى هسوق يا بلال، دوست ع الدبرياج وسنة سنة بنزين وهببب ، العربية بطلت ، جربت مرة تانية، والعربية بطلت، رجعت فى كلامى، سبت له الطلعة دى، هشوف بيعمل إيه).

ذهبنا للعمل، أستاذ بلال يعمل فى مصلحة حكومية، عندما وصلنا لعنبر المكاتب، جاء عم توفيق من (البوفيه).

-شاى ولا زى كل يوم؟

- زى كل يوم.

– طب والفلوس المتأخرة، مفيش أخبار عنها؟

– هما وصلوا كام يا عم توفيق؟

– ثانية واحدة.

أخرج كراسة من جيبه، قام بتقليب الصفحات، أستاذ بلال .. أستاذ بلال (أيوه أهو ، عليك ٨٦ جنيه و٧٥ قرش)، تدخلت بالروح التانية، (الفلوس هتبقى عندك بكرة يا عم توفيق)، شعُرت بالمفاجأة تنتاب روح أستاذ بلال، (هاجيب منين!!!)، كتبت له بإستخدام يده، إن الله لن يضيعنا ، ونعم بالله، قضينا يوم ليس له أية فائدة داخل المصلحة، انا من قمت بالقيادة أثناء الرجوع، قد تعلمت، سلكت طريق العودة لسيارتى، وجدتها فى نفس المكان، ما زال تجمع الناس حول السيارة كما هو، يحاولون إخراجى بحزر، هناك من يقول أننى لست إنسانا طبيعياً، منهم من إتهمنى بابتلاع قنبلة.

إنحرفت عليهم كما فعل بلال، علقت يدى على الكلكس، مع السُباب العشوائى، حتى أفعل كل ما فعلته لإحتلال جسده، بالفعل لم أعد أشعر بهذا الإنتفاخ، تحول الإحساس بالكرش إلى آلام وضع، إنتقلت لجسد مدام عبير هذه المرة، لكنى فى هذا الإنتقال،

إتخذت موقع إدارة الجسد من اللحظة الأولى، أول ما فعلت، ذهبت لسيارة الأستاذ بلال، (خبطته على الكبوت).

– فى حاجة يا مدام.

– هى كلمة واحدة، صاحبك باعتلك الميت جنيه دى وبيقولك " لبنى حلها إنك تتجوز عليها".

المشهد الثانى : هنسميها انجيلينا

مدام لبنى سيدة مطحونة فى مطحنة الحياة، متزوجة منذ ثلاث سنوات، زوجها رجل متدين يعطيها حقوقها كامرأة بالتمام والكمال، ليس عنده مانع من عمل النساء، فهو يرى أن الاختلاط فى الاتوبيسات أبعد ما يكون عن الحرمانية، هو تكفير لذنوب باقى اليوم.

فى الشهر السابع من حملها، حلمها ان تلد فى أى بلد غير مصر، حتى لا تكتب على ابنتها نفس المرار الذى عاشته، تصرف القليل، تدخر باقى ما تحصل عليه، اتفق زوجها مع بعض اصدقائه على تهريب زوجته لتضع حملها فى أى من موانئ البحر المتوسط، بالفعل بدأ المخطط بأن حادثها صديق الزوج:

– مدام لبنى، جهزي نفسك انهارده هعدى عليكي (بالميكروباص)، خدى لبس يكفيكي لحد ما تولدى، وإنتي وحظك ولدتي فى اليونان خير، فى قبرص ما يضرش، بس ماتنسيش الحلاوة لما ترجعي بالسلامة.

وجدها فرصة بأن يرى بلاداً أخرى غير مصر، فضل البقاء داخل جسد مدام لبنى حتى تعود بالسلامة.

أحس بالحرج داخل جسد أنثوى، لديه العديد من المناطق التى يشعر معها بعدم الارتياح، تمنى إغماض عينه، لكن لم يجد سوى عينيها هى، فينظر وأمره إلى الله.

جاء صديق الزوج ليحمل حقيبة السفر ويثبتها أعلى الشبكة وسط شنط باقى الأشخاص الذين نووا الهجرة غير الشرعية.

ودعت مدام لبنى زوجها:

– خد بالك من نفسك يا راجل، بنتك هتبقى أجنبية يا جدع.

مرت ساعات وهم على سطح مركب يسير ببركة دعاء الوالدين، المسافرون جميعهم ينظرون ويترقبون الوصول إلى عالم الأحلام.

يهتز المركب بقوة، تدخل موجة كبيرة داخل المركب، سرعان ما ننقلب كلنا فى البحر، لا اله إلا الله، كان هذا ما تصرخ به حناجرنا مع بعض الدعاء على صاحب مشورة السفر وصاحب المركب لم يُنسى أيضاً، من تشبث بلوح خشبى، من أمسك (بجركن) فارغ.

مرت حوالى ساعة ووجدنا مراكب الإنقاذ قادمة، والعجيب أن الكل قد نجا.

عادوا إلى الوطن الروح ومدام لبنى والجنين الذى ولد فى مستشفى حكومي بعد عودتهم بيوم، وجد نفسه فجأة يقوم بالعياط، لا يستطيع التحرك.

يبدو أنه من هول موقف الغرق انزلق داخل الحبل السري.

المشهد الثالث : حضّانة

إضاءة واضحة جلية، درجة حرارة معتدلة، صمت ثقيل، محاليل تندفع خلال الدم، بالتأكيد أنا فى جسد الابنة داخل الحضّانة.

قبل ذلك كان الانتقال يتم عن طريق السُباب وكبح سرعة السيارة بشكل مفاجىء، الانتقال الأخير تم إثر الخوف من الغرق، الخوف عنصر مشترك فى كل تجاربي السابقة.

الآن أشعر بالخوف من الاستمرار داخل جسد طفلة رضيعة، سأواجه الكثير من العقبات، اثناء الرضاعة، أثناء تغيير الغيارات، من الجائز أن يغتصبني مختل عقلياً، يجب أن أجد حلاً.

بعد تفكير عميق، أرشدت إلى الحل، الفم .. الفم هو المكان الوحيد الذى تتلاقى فيه الأرواح دون فعل المعصية، تربصت بالشفة السفلى لأنجيلينا، انتظرت أيام ولم يقبلها أحد، إلى أن جاء يوماً، سمعت صوت يقول. "تمام، وظائف الكبد تعمل بشكل سليم، سأكتب لها خروج حالاً".

شعرت بجسد أنجيلينا يرفع، أحسست بتقليب يميناً ويساراً، من الواضح أن أحدهم يجهزنى للرحيل، بعد أن أنتهى إرتداء

الملابس، رُفعت إلى أعلى، ضُممت لصدر مخملي، كنت مترقب الحدث الجلل، بالفعل شعُرت بتلامس بين شفتينا، على الفور ضاعفت الشعور بالخوف وتشبثت بأول زرة من فم من قبلنى، ويالا الحظ، العسر، امرأة أخرى.

عزة، ممرضة، مديرة قسم الرعاية المركزة للرضع، شخصيتها قوية، استهويت التنقل بين الأجساد، سأمتهن هذا العمل، خبرتى زادت، وسائلي تعددت،هى لم تتزوج بعد، لا أشعر بدبلة فى يدها، قضيت يوما أعمل كملاك رحمة، أحسست بنقود توضع فى البالطو، مع مقولة " حاجة بسيطة، ربنا يكرمك" ، فوجئت بدبلة فى اليد اليسرى، يبدو أنها ترتديها بعد انتهاء العمل.

– مساء الخير يا حسن.

– مساء الفل يا مراتي يا جميلة.

– يومك كان عامل إزاى انهارده.

– أبداً زى كل يوم، الورشة، تغيير زيت لكام عربية، مفيش جديد.

– أنا عندى جديد، المستشفى الدولية اللى قدام بتاعتي بعتولي عايزنى أروح عندهم بضعف المرتب.

– ألف مبروك يا عزة، ما تيجى نحتفل بالمناسبة الحلوة دى.

– هتودينى فين!

– هوديكي المملكة.

– اللى هى إيه!

حملها بكلتا يديه، أخذ يداعبها، يضحكان إستعداداً للمملكة، التى تعلمها جيداً، تسأل عن معناها فى كل مرة، عجيب أمر السيدات، يتمنعن وهن الراغبات.

أغلق النور، بعض الدقائق، بدأت الجحافل بالانطلاق، سرت عكس التيار، وجدتها فرصة مناسبة لأعود لاحتلال جسد رجل.

لم أنتقل بهذه السهولة من قبل.

المساواة

جالساً على منصة القضاه بين المستشارين، نبحث فرضية ماذا يحدث إذا ساوى الله الرجل بالمرأة فى بعض المهام الموكلة إليهم؟

الرضاعة كان لها نصيب الأسد فى المناقشة.

قال أحد الحضور:

– دعونا نفترض أن الله خلق الرجل بنصف صدر والأنثى بنصف صدر هى الأخرى، فى هذه الحالة لكان الرجل قادراً على إرضاع المولود مع المرأة بالتساوى.

رد عليه شخص آخر:

– ماذا لو كان نصف صدر الرجل فى جهة اليمين، ونصف صدر المرأة فى جهة اليسار، هنا يستحيل أن يحضن الرجل المرأة، ويجب على كل رجل يميني الصدر أن يتزوج إمرأة يمينية الصدر أيضاً ليكون الحضن صحيحاً.

اقتحمت الحديث فتاة فى أواسط العمر.

– لكن الأحجام متفاوته، صحيح أن هذا التفاوت لن يعيق الحضن كلياً ، سيكون الحضن أعوّج، إلا إذا كانا متساويين تماماً فى الحجم وهذا شىء بيد الله وحده.

صدر صوتا جاهورى من الصفوف الخلفية يقول:

– بالله عليكم ماذا سنفعل فى الرحم والأعضاء التى لا تقبل القسمة على إثنين إذا أردنا تحقيق العدل المطلق؟

استيقظت وأول ما فعلت هو أن قمت بعمل حاجز يقسّم السرير إلى نصفين، فتحتْ عيناها مندهشة،

– بتعمل إيه يا راجل.

– طبعاً راجل وإياكى أسمع كلمة مساواة من هنا ورايح.

الدم فى الشكمان

مبروك العربية الأبهة الجديدة.

– ثانك يوو.

– أنت لازم تزفر.

– صاو صاو صاو

– انت بتعمل ايه!

– بصفر زى ما قلتلى.

– تزفر مش من بقك.

– امال منين ؟ انت عايز ايه يا راجل انت!

– عدم ال لاموآخذه تدبح يعنى.

– شكلك من تشكيل عصابى وانا مش مستريحلك.

– عصابى ايه يا باشا تدبح خروف، جدى، أرنب.

– ظلمتك ما تزعلش بقى.

– لأ مش زعلان ، انا اعرف جزار حبيبى، هايكرمك.

عند الجزار

– عندك ايه يا اونكل؟

– جزار يعنى بقر وجاموس وخرفان.

– بس انا كنت عايز ادبح فرخة.

– انت جى تهزر؟

– لا والله مهو السايس قالى صفر بقدر استطاعتك وانا دلوقتى مش معايا غير خمسميت جنيه.

– شكلك طيب ، انا هدبحلك جدى صغير هيخشله فى ألف ونص.

– عندك فيزا.

– فى بنك آخر الشارع.

بعد الدبح

الجزار مالى ايده دم من الجدى ورايح ع العربية.

– انت هتعمل ايه؟

–هحطلك خمسات ع العربية.

– العربية نضيفة، احنا لما نوزع اللحمة نكتب كارت فيه اسمى ورقم العربية والناس يدعولى وخلاص.

– لازم دم.

– لازم؟

– طبعا.

– طيب تعالى اغسل ايد حضرتك وانا اللى هاحط الدم.

– براحتك.

طلـع منـديل كلينكس مـن جيبـه، ولمـس بيـه الـدم ، راح العربيـة، حطه فى الشكمان.

البنيان

لامست يدُها فخذي ونحن نتناول الغذاء على طاولة السفرة احتفالاً بقدومهما من الخارج.

زوجة أخي، فاتنة، فى سن الكمال الأنثوي، لن أستطيع وصفها أكثر من ذلك لأنها تخص أخي.

تجمدت تعابير وجهي من فرط المفاجأة، لم أدر ماذا أفعل، سكبت صحن الشوربة وأنا آخذه من والدتي، مصطنعاً أى ردة فعل للهروب مما حدث.

سافر أخي للعمل بأحدى الدول العربية فور تخرجه من الجامعة، تزوج منذ شهور قليلة، لم نر زوجته إلا من خلال (الإنترنت)، انجذب أخى لها بشكل كبير، وفى فترة قصيرة أخذته من أحضان العائلة، لا بأس، سيعلم خطأه بمرور الوقت، فهو ناضج بما فيه الكفاية.

علمنا أنها من أثرياء القوم، صغيرة الحجم، ذكية، تفعل أى شىء لإرضاء معتقداتها، باركنا الزيجة رغم شعورنا بعدم الراحة ، الآن هم عندنا لأول مرة.

أخذتْ رقم هاتفي فى ذلك اليوم، ترسل لى رسالة مفادها أنها نادمة على الارتباط بأخي، تمنت لو كانت قابلتني قبل الارتباط به، استقبل الرسائل ولا أرد، لم تكف عن ملاحقتي.

فوجئت بصفعة على وجهي أول ما فتحت لأخي باب الشقة ، سألته عن السبب وكلي حيرة، أجاب أن من يخون أخاه مع زوجته لا يستحق العيش، لم يعطني فرصة للرد، أغلق الباب خلفه وانصرف.إهتز البنيان.

هتموت كافر

تبرع صاحب المصنع لي بالفرصة، حلقت شعرى وسافرت، وقفت أمامها وسألت، لماذا أنا دون باقي الخلق؟ لم ترد.

حاولت الانتحار كثيراً منذ نعومة أظافري، اتذكر أول مرة حين كنت فى المرحلة الإبتدائية، نهرني زميل الدراسة:-

- أقعد ورا، أنت هتساوى نفسك بأسيادك!

قالها لى محفظ القرآن حين تعافيت.

عندما التحقت بالجامعة، اعجبت بزميلة ولا أروع، أدب، أخلاق، جمال، عين فى زرقة البحر، ترددت كثيرا، أخذت القرار، ليتنى ما فعلت.

-أنت اتجننت، انت تيجي تقابل بابايا!! انت تروح تموت أحسن.

كانت نصيحتها تتوافق مع قناعاتي، فعلتها للمرة الثانية، هل جننت؟ أتريد أن تقابل الله كافراً، قالها لى أبى بعد أن استعدت حياتي للمرة الثانية.

تزوجت من امرأة معدمة مثلي، بدأت المشكلة فى التطور، المولود الأول، مصاريف الولادة، التعليم، المولود الثاني، تتوالى المصائب، المرض، العلاج، يزيد مع السن وينتقل لكل أقربائي، مرض الفقر.

فعلتها فى كل مراحل عمري ولم أنالها.

يحاولون جميعا التأقلم، يقولون لى فى كل مرة.

-كده هتموت كافر.

سألت نفسي أمامها قبل الرحيل، هل لو كنت وفقت فى الانتحار صغيراً أفضل .. أم الآن؟!

بنت سبعة

- بتكسف يا (أونكل)، أعمل إيه، ما حضرتك عارف.

- أنت هتجننني؟ دى مراتك يا أهبل.

- فلنفترض، هى عارفة كده من (داى وان).

- يعني الواد ده مش أبنك؟

- هو يعني عشان سميته بأسمي، يبقى شرط يكون أبنى؟

- مفترض طبعاً.

- أديك قلتها، يعني مش أكيد.

- أمال ابن مين؟

- وأنا أعرف منين؟ إسألها.

- وإنت عادى كده!

- هو اللي بيستر على واحده بقى هو اللي مش عادى؟

– بيستر على إيه!

– هو ليه كل الناس صدقت إن الواد ابن سبعة.

– عشان جه بعد سبع شهور.

– سبع شهور من كتب الكتاب، من يوم ما قررت أضحي.

– تضحي بإيه؟

– اني أكمل حياتي بسمع كلمة بابا من حد ماعرفهوش.

– وإيه اللي جبرك على كده؟

– حسيت إن ربنا بعتنى عشان أكمل دور أنا مابتدتهوش.

– وإيه اللى وصلك الإحساس ده؟

–عشان قبلها بيوم عملت حادثة تمنعني من إني أكون راجل طبيعي.

– وإيه اللي جد دلوقتي.

–الهانم منزله صورها ع النت هى والواد وبتقول أنها (سينجل مذر) ونسيث إنى (سينجل فاذر).

تركته وقد أخذ قرار الانفصال عن زوجته فقد تذكر أن ابنته أيضا (بنت سبعة).

الوكيل

-صباح الخير يا فندم، إخبار صحة معاليك إيه؟

-إنت شرفت؟

-تمام يا فندم، فى خدمة سعادتك.

بصق فى وجهى دون مقدمات أو سبب واضح.

-غور من وشى الساعة دى، أنا مش طايق حد.

يبدو أن زوجته فعلت معه الفعل المعتاد الذى أستحي أن ألمح به فى حضوره أو غيابه.

على مكتبى جلست أتذكر تدرجي الوظيفى، بدأت وكلي حماس، لم يكن أحد يجرؤ أن يوبخني، كل مشكلة تنتهي فى مهدها معلنة انتصاري.

توالت الأحداث فى حياتي من خطوبة بنت الحلال إلى الزواج ، رزقنى الله أربعة أطفال، منهم من تزوج وأصغرهم لم يزل فى المرحلة الابتدائية.

أفكر قبل صدور أى كلمة مني كلما تقدم بي العمر، لست وحدى من سيتحمل عواقبها، أبكي منفرداً بذاتى وأفوض أمري إلى الله.

وصلت للسن الذى يتغاضى المرء فيه عن اهانات مديريه حفاظاً على راتبه، متطلبات الحياة تجبرك على التنازل عن بعض الحقوق. تتعاظم التضحيات مع مرور الوقت، كرامتي أم تعليم ابنائي! اهانتي أم علاجهم! هم مسؤوليتي وواجبي الحفاظ عليهم.

رحلت زوجتي عن عالمنا العام الماضي، أتسائل كثيراً عن وجهة نظرها فيما أفعل وهى ترى الأشياء الآن بوضوح جلي.

–قاعد مريح أنت وكأنك شغال فى طابونة!

اعتذرت وواصلت العمل، أقول في سري " حسبي الله ونعم الوكيل".

عريس يا اماي

تزوجت لمده يومين من شخص يبدو من اسمه أنه ينتمي لديانة أُخرى تخالف ديني، لم أره، لم أوافق على الزواج، كيف يحدث ذلك وأنا من كانت تشمئز من علاقات الزواج قبل إنهاء الدراسة الجامعية.

واجهت موظف السجل المدنى بالحوار الآتى:

– ما هو مش معقول تجوزوني من غير ما أشوف العريس على الأقل!

تسمر الموظف ونظر لى نظرة تؤكد أنه يرانى مختلة عقلية.

– فى إيه يا مدام؟

– أنا ولا مدام ولا نيلة، أنتوا اللى خليتوني مدام.

– طب فيه يا أنسه؟

– كده ممكن نتكلم، أنا جيت أطلع بدل فاقد لبطاقتي الشخصية.

– عادي وبعدين حصل إيه؟

– بعدين بعد لف أسبوعين، روحى فين، هاتى إيه، حد يضمنك، ختم النسر، توقيع موظف درجة أبصر إيه، فى الآخر، تطلعلي البطاقة إنى زوجة للشخص المذكور أسمه ده.

– ما يمكن تبقى مراته وجاية ترمي بلاكي علينا.

– فلنفترض إني من بيئة واطية، الجوازة دى باطلة أصلاً ومفيش دين يقبلها.

– ما جايز وثقتوا العقد مدني فى السفارة.

– يا سيدى الفاضل أنا لغاية امبارح كان فى عريس جى يتقدملي.

– هو عارف حالتك الإجتماعيةّ؟!

– ماتجننيش يا راجل أنت، طلعلي بطاقتي ببياناتي الحقيقية حالاً، عشان مارتكبش جريمة.

– يا فندم حضرتك تروحي ترفعي قضية خلع ولو كسبتيها أنا هاساعد حضرتك.

– أنا لسه (فيرجن) إستريحت؟

– ما جايز جوزك عايز علاج.

– لأ مش عايز، هو ماشافنيش أصلاً.

– طب ما تديله فرصة تانية، نور هادي، مزيكا، جايز.

– أحلفلك بايمانات الله كلها، أنا ماتنيلتش.

– الجواز سترة على فكرة، ما تبصيش للموضوع من بره.

بعد محاولات لظبط النفس، لعدم صدور أى فعل مشين مني، نظرت للموظف قائلة:

– أنت أقنعتني، مش عارفة إزاي كنت هأخرب بيتي بإيديا، شكراً.

أول ما فعلت حين ركبت سيارتي، أخرجت (اللاب توب) ونشرت القصة بالكامل ويالا العجب، لم أتخيل سرعة تأثير المواقع الاجتماعية بهذا الشكل، جاءتني مكالمة بعد عشر دقائق:

– الو، مش عارف أقول أنسة ولا مدام، بس عموماً إحنا (شركة ... للانتاج السينمائى) نتشرف بأنتاج هذه القصة لتصبح مسلسل رمضان العام القادم بعد أخذ موافقتك طبعاً.

– قول أى حاجة، أنا موافقة طبعا، إدينى عنوان الأستوديو.

عند عودتي إلى البيت فوجئت بشنطة هدايا من النوع الفاخر، فتحتها لأجد البطاقة فى علبة جواهر دون أسم ذلك الزوج، وجدتها بأسم رجل يتوافق مع ديني.

العقبة - لحم

أوقفتني لجنة فى الطريق الى خليج العقبة، أشار لى بيده – من على كتفيه ما يدل على أنه رئيس الكتيبة– اشارة تفيد أنه يريدني أن أجنب السيارة وأن أبرز الرخص.

فعلت على الفور، تفحص الاوراق، تمام تمام، نظر داخل السيارة وجد فتاة فى أواسط العمر، بيضاء، جمالها مشع، مغمضة عيناها، سألني من تكون؟

أجبته بأنها سيدة أوقفتني فى الطريق كانت فى حاجة لمن يقلها الى نفس وجهتي، نامت منذ دقائق.

– هل تحققت من شخصيتها؟

–لا لم أفعل فهى كما ترى حلم كل رجل.

أشار للجنود بأن ينزلوها لتفحصها.

جاءني بعد دقيقتين

–الفتاة بها جروح وكدمات، بمَ تفسر!

–لا أعلم، قد أخبرتك أنى لا أعرفها.

وجدنا مكنة حلاقة فى شنطة السيارة، قالها أحد العساكر.

–بالفعل، استخدمها حال تأخرت عن العمل.

– الفتاة استعادت الوعي يا جنرال.

ذهب للتحقيق معها.

–من أنتِ ومن هذا الرجل؟

–انا لا أعرفه، كنت فى المحطة أنتظر أى حافلة، وقف جواري وبدأ الحديث، أشعلنا السجائر،عرض علي توصيلي إلى العاصمة فلم أمانع، هو وسيم كما ترى، آخر ما أتذكره أنه أعطانى علكة ماركتها مكتوبة بلغة لم أتبينها، أتذكر أيضا قوله "أنتم حل لنا"، بدأ يتهجم علي ويلمسني بوقاحة.

كان ذلك السيناريو يدور فى ذهنى وأنا اتصفح خرائط الأراضي المحتلة عبر الانترنت.

بيت جديد

سأعترف لها بما يجيش فى صدرى، أصبحت عاجزاً على الاحتمال، مرت شهور منذ انتقلنا وعائلتى إلى البيت الجديد، دائما ما تجلس جوار الشباك المقابل لغرفة والديّ، هادئة لا تتحرك كثيراً، ثابتة، مما يدل على حسن التربية، هى ليست مثل بنات ذلك الجيل، كثيرات الحركة، أصواتهن عالية، يتباهين بالعُرى، يفعلن كل شىء ليثيرن الجدل حولهن، أما هى فلا!

دائما ما أراها حين أقف منتهزاً الفرصة للدخول على والديّ غرفتهم متحججاً بأنى اشتقت إليهما، أتطلع إليها فى نظرات سريعة حتى لا يلحظا ما أنا فيه.

مرت الأيام ثقيلة وأنا أتحين الفرصة لإظهار حبي ووولهي، لن تمانع، أنا أثق فى ذلك، مثل هذه الفتاه تريد الحب أكثر من الأخريات، لكنها تريده فى النور، حلالاً أمام الجميع.

بالفعل خرج أهلي فى زيارة أولياء الله الصالحين، تحججت بأنى مريض ولن أستطع أن أكون معهم، تمنيت لهم قضاء وقت ملىء بالروحانيات.

أول ما فعلت حين أغلق باب الشقة، هو أن ارتديت نظارتى الطبية، دخلت غرفتهم، أزحت الستار وأنا أراها منتظرة وكلها لوعة، تتحنحت، لم تلتفت، ناديت بصوت خفيض، لم تعيرنى انتباهاً، كلما زاد تمنعها ازداد إعجابى بها.

انهرت حين دخلت سيدة يبدو أنها صاحبة المنزل، أخذت عصا التنظيف ذات الضفائر وانصرفت!

الخادمة

طلب المحامي حضور جميع الورثة لإعلان ميراث كل منا، ذهبت أنا وأمى وأنتظرنا أكثر من نصف ساعة، قالت أمى للمحامي،(مش هنبدأ بقى) قال لها فلننتظر قليلاً حتى يكتمل الأشخاص، نظرتُ لأمى بحيرة ولكننا صمتنا، لعل أبى كان له أخ لا نعرفه.

دخلت الخادمة مرتدية ملابس الهوانم وجلست واضعة قدم فوق الأخرى، كانت تنظر بعيداً عن أعيننا.

ذهلنا أنا وأمى.

– إنتِ بتعملي إيه هنا يا بت.

– جاية أخد ورثي ِ وورث أبنى، أنا ليا قد ما ليكوا بالظبط، زوجة وابن، وأنا كمان زوجة وابن.

لا تستبقوا الأحداث فنحن فى انتظار الزوجة الاولى.

قالها المحامي.

دخلت الجارة التى تسكن فى الطابق أسفلنا.

– مساء الخير يا جماعة.

مر شريط العامين الماضيين كله فى ذهنى خلال دقيقة واحدة.

قررت أمي أن تستعين بمن تعينها على تنظيف المنزل، عرضت الأمر على أبي، أعترض فى بادىء الأمر، أمي كانت تريد خادمة مقيمة معنا، شُعر أبى بانتهاك خصوصيته، توصلوا لحل يرضي جميع الأطراف، ستكون غرفتها داخل المطبخ ولن تخرج منه إلا وأبى خارج المنزل أو وهو نائم، أيضاً ستضع أمى زجاجة مياه فى غرفة أبى، وإذا أراد شرب كوب من الشاى ستقوم أمي بعمله وتقديمه له.

أستمر الحال على هذا، والخادمة تقوم بعملها دون إيذاء مشاعر أبى.

الفتاة التى اختارتها أمي هى فتاة من المنصورة، عندها إبن صغير لم يتعدَ العام من عمره، قدمت فى بادىء الأمر إثر توصية من جارتنا التى تسكن شقة فى الطابق أسفلنا.

حاولت أن أرحب بها بطريقتى الخاصة، لعلمي بأن معظم من يأتون إلى العاصمة يكون حلمهم الأول أن يعجب بهم (البيه الصغير)، لم تعطني فرصة، بالعكس قابلتنى بمنتهى الجفاء والغلظة، وقالت بمنتهى العنف، (لو كان الشغل هيبقى سبب إنى أبيع نفسى يبقى بناقص).

أحترمتها منذ ذلك الفعل، ولم أحاول مرة أخرى، كلما فكرت، أسمع مقولتها التى تنم عن أصل طيب.

اعتدنا شرب الشاى فى المساء من يدها، له مذاق خاص،

كلما سألنا عن سبب حلاوة الشاى قالت إنه سر لن تستطيع البوح به.

شغل أوستيك

مشاهد متلاحقة، صوت إحتكاك، أحاول تهدئة سرعة السيارة بلا جدوى، تدفعنى عربة كبيرة، لا أعلم يمينى من يسارى، فقدت الاتزان، روح تائهة تبحث عن الاستكانة.

كل ذلك فى لحيظات.

– إنت كويس؟

نظرت لهم باستغراب، لم أنطق.

– نجيبلك مايه؟

هززت رأسى بالنفى، دقات قلبى متلاحقة، لا أدرى ماذا حدث.

– إركن على جنب وخد نفسك قبل ما تكمل.

بدأت بترتيب الأحداث والصور فور وصولى أسفل منزلى.

صدمنى أحدهم على الطريق السريع من الخلف، دارت سيارتى حول نفسها مرات لا أعلم عددها إلى أن استقرت، أول ما فعلت أن قمت بالمرور حول السيارة لتقييم الخسائر، حمدت الله على سلامتى.

ذهبت (لسمكرى) سيارات أشاد به صديق لى.

– إيه ده. أنت اللى كنت سايق؟

– آه.

- أتكتبلك عمر جديد يا أستاذ.

- المهم تخلص إمتى؟

- ما تستعجلنيش عشان تاخد حاجة نضيفة.

- ماشى يا أسطه.

بعد أسبوع اصطحبت (بُهيجى) أشاد به نفس الصديق وذهبنا للسمكرى لأستلام السيارة.

تطلع إلى السيارة.

- لأ شغل تمام ياسطه، ربنا يباركلك.

- تمام هتتكلف كام دهان وهتخلص إمتى؟

- مش هنختلف بس ما تستعجلنيش عشان تاخد شغل أوستيك.

بعد أسبوع آخر قمت بالاتصال لأطمئن على العمل.

- السلام عليكو

- أزيك يا أستاذ .... ، أخبارك إيه.

– أنا تمام، المهم العربية عاملة إيه؟

– عربية،عربية إيه! هو مش حضرتك عديت من كام يوم خدتها.

كل أفلام سرقة السيارات جاءت على بالى، هل صديقى شريك مع العصابة؟

لقد أعطيتهم رخصة السيارة بيدى، أنا أحمق.

– يا بيه حضرتك بتكلمنى أنا ليه. أنا (السمكرى)، عربيتك عند (البُهيجى).

البيت ده طاهر

أثق بها ثقة عمياء، تساعدنى دوماً، وحيدة، مات زوجها، تطهو لنا الطعام بينما أنا فى عملى، أعطيتها مفتاح المنزل، تدخل بهدوء دون ازعاج زوجى.

أدعو لها أمام زميلاتى، لم يعجب الكلام أستاذة "واعية"، كيف تتركين للقط مفتاح القرار؟ دافعت عنها، هى عشرة عمر، لعبنا سويا فى طفولتنا، لن تفكر فى خيانتى، ومع من؟ زوجى!

– لم نقل شيئاً، الاحتياط واجب، عودى فى موعد باكر عما اعتادوه، لن تخسرى شيئاً.

ذهبت بالفعل فى منتصف اليوم، الطعام رائحته شهية، شممته قبل فتح باب المنزل مما زادنى اطمئنان، دخلت، كلى ثقة، سأرى مشهد طبيعى جداً.

حدث أغرب شىء ممكن، وجدت زوجى هو من يقوم بالطهى، جارتى ليس لها صوت، اختبأت فى مكان آمن، انتظرت، أنتهى من تجهيز الطعام، دخل غرفة النوم، أرى تحركاته، خرج ممسكاً

بقميص نوم يخصنى، يحبه كثيراً، سحب باب الشقة خلفه، طرق على بابها المقابل لنا بأصابعه، فتحت.

هاو هاو

كان يوماً عصيباً، قفز كلب أمام سيارتي دون إنذار، كان يعرُج، ربما يعانى مُر العيش مشاركة للمواطن المصرى!

ذهبت للعمل وكلى شعور بالذنب لما إقترفته اليوم دون قصد، جاء (عامل البوفيه) يسألنى:

– مالك وشك مخطوف كده ليه؟

– أبداً، خبطت كلب وأنا جى.

– أكيد المشرفة بتاعت (الباص) نزلته قى وسط الطريق، بياخدوا مرتب على إيه مش فاهم!

– لأ خبطت كلب بجد.

–يبقى أكيد سواق الباص فتح الباب بتاعه فجأة عشان ينزل يجيب كوباية شاى.

– يابنى إفهم بقى، كلب حقيقى ، يعنى جوز الكلبة.

– هـو جـوز المشـرفة بيخـاف عليهـا للدرجـة دى، بيـروح معاها المدرسة كل يوم، هى حلوة أوى كده؟

– حبيبى إنسى البنى آدمين، أنا خبطت كلب بأربع رجلين ولونه إسود.

– قول (دوج) من الأول عشان أميّز.

حينهـا صـعُب علـي الكلب، أنحتـاج كل هذا الشرح للتفرقـة بين الكلب وبين إبن الكلب.

ارجوحة

تقوم بدفع الأرجوحة إلى الامام وإلى الخلف ملاعبة ابنتها الوحيدة.

أكرمها الله بزوج طيب فياض الحنان، يتحمل المسؤولية، يعمل بكد، دؤوب، يطمح الى غد أفضل.

حلمها ان تسكن فى (فيلا) من طابقين، يكون الطابق السفلى لاستقبال الضيوف، العلوى لتمرح طفلتهم الصغيرة وتلعب بكل ما هو جديد، استمرت الحياه على هذه الوتيرة الهادئة، يتقدم زوجها فى عمله بشكل غير مسبوق، يظهر ابداعه دون زملائه فيتفوق عليهم ويترقى سريعا.

تحضر العشاء الرومانسى الجميل، يعود الزوج، يحتضن زوجته ويلاعب ابنته على الأرجوحة التى اشتراها أول ان ولدت، تنام الطفلة فى سريرها، يسهر الأبوين يتسامران، يضحكان، يسترجعان ذكريات ايامهم الخوالى، يزيد الحب يوما بعد يوم، تكبر الابنة، تزداد جمالا، يتشاجر الأبوين، كل منهم يرى انها تشبهه أكثر.

مركب فى وسط البحر، انغام ورقصات على سطحه، يحتفلان بعيد زواجهم، تشتد الرياح والأمواج بشكل يوحى بأن القدر كلف

لأخذ عدد كبير من الأرواح، تدخل المياه داخل المركب بعد اصطدامها بجزيرة نجا من نجا وانتقل لرحمة الله من انتقل.

عادت وحيدة دونهم، بعد فترة علاج نفسي، رجعت البيت، اول ما فعلت أن قامت بدفع الأرجوحة للخلف وللأمام.

يوم

أدرت محرك السيارة الفارهة باستخدام (الريموت)، أشعر بشعور الأغنياء يغمرني، توجهت إلى زوجتي متهللاً، فوجئتْ.

– من أين لك بهذه السيارة؟

– صاحب الشركة طلب مني اصطحابها معى اليوم لأمر عليه غداً عند الفجر للسفر لمحافظة أخرى، هيا أرتدى أغلى ما لديكِ، لنعيش يوما لن نعيشه أبدا ما حيينا.

أتمرن بنادى من نوادى الصفوة، منتظم فى الجدول الغذائى الذى أعطانيه المدرب، أذهب ثلاث أيام فى الأسبوع.

ذات يوم .. ذهبت لمشرف الدواليب التى يضع المتمرن فيها حاجياته لحين الانتهاء من التمرين .. لقد أضعت مفتاح القفل خاصتي .. طلبت منه مساعدتى لفتح الدولاب الذى استأجرته .. أتى ببعض (المفكات) وحاول فتح القفل .. بالفعل نجح .. بعد أن شكرته .. سألته .. ماذا لو كنت لصاً؟ وهذا الدولاب ليس لي؟

شعر بأنه أخطأ بالفعل .. لإنقاذ ما تبقى من ماء الوجه، طلب منى (الكارنيه) الخاص بى، كتب اسمي، تأكد من أن الاشتراك ساري، سألنى عن ما بداخل الشنطة، أجبته بالتحديد .. فوطة زرقاء .. قميص رمادى .. شكرته على اتخاذ الاحتياطات اللازمة.

بعد أن توطدت علاقتي بالمُدربين ومُشرفي الدواليب. أصبحوا يعطوني وصل إيجار الدولاب بمجرد ان يروني دون الأطلاع على الكارنية قد حفظوا اسمي .. كنت أراقب المتدربين عن كثب.. مع المداومة بدأت أحدد المستوى الاجتماعي لكل فرد.

مرة أخرى تحججت بأنى فقدت مفتاح الدولاب ..قام على الفور بفتحه لي .. هو يعرفني جيدا .. كثيرا ما شربنا السجائر سوياً .. فتح لى الدولاب أخذت ما بداخله .. عدت لمنزلى فى الحي الشعبي.

خرجنا بالفعل .. كانت ليلة ولا ألف ليلة، أكلنا ما لذ وطاب .. شربنا البيرة .. شاهدنا الراقصات عن قرب لا فى التلفاز ..عند الفجر أعدت السيارة إلى النادى .. خرجت سيراً على الأقدام

مداعباً (كارنية) نادى الصفوة الذى وجدته ملقى على الأرض منذ شهر مضى.

مُسيَّر

سكون ما بعده سكون، هدوء مطبق يحمل فى طياته القلق، ترقب، انتظار الهاجس الذى لا يأتى، أوقات أصعب من أن يتحملها بشر، البدلة الحمراء، أراجع ما اقترفته، هل يستحق الموت؟

أتذكر تدرجي فى المناصب حتى وصلت لأن أصبح وزيراً، وجدت الجميع ينافقوني، يتمنون التحدث معي لدقائق، الكل يأمل فى أن أشركه معي فى أية مأمورية، عروض كثيرة، مكاسب يصعب تصديقها، هل حقا الثراء السريع بهذا اليسر؟

يطمئنوني، هى لعبة مجربة، فعلها الكثير قبلك، هم فى مأمن الآن أمامك بعد أن أنهوا فترتهم، سألت نفسي كثيراً، ماذا سأقول وقت الحساب؟

أول عملية كانت فى تغيير قضبان السكة الحديد، تكهين القديم، بيعه كخرده، الأوراق سليمة والفارق لن يسأل عنه الكثيرون، إن نبشوا حوله فلأعطهم جزءاً من الكعكة، توالت الصفقات، إلى أن أتى يوم وجدت تغيير وزارى مفاجئ، من أين لك هذا وسين وجيم، كان التحول سريعا أسرع مما تخيلت..

أتمنى أن يعود بي الزمن قبل حصولي على لقب وزير، أذهب إلى بيتي هادئا مطمئنا. لا أبالى بالغد فهو ملك لله.

سأعترف بكل ما فعلت، لن أسقط وحدى، أصبح حلمي أن أسقط لكن مع آخرين.

دخل علي عشماوي، احتضنني قائلاً، (المفتي جى ورايا، هيلقنك الشهاده).

أفقت من شرودى، رددت بصوت منخفض: لن أقول القسم، لا أريد الدخول لهذا العالم، فلتذهب المناصب إلى ال... ترددت.

أقسم بالله العظيم .. أن أحافظ على أمانة العمل وأن أبذل

ق ص ا ر ى ج ه د ى.

خيانة

سعيدة فى زواجها، قد أتاها بعد تجارب كثيرة فاشلة، الرجال لم تعد تستطيع تحمل المسئولية، فُسخت خطوبتها أكثر من مرة، لا يتحمل الرجل العيش مع امرأة واحدة، الخيانة كانت العامل المشترك، بالفعل، بالمحاولة، بالتمني، جميعهم غير أهل للثقة، حاولت الاحتواء، التغاضى، تصديق قول أن تلك أفعال صبيانية ستنتهى بعد الزواج، كلما صرفت نظرها كلما ازدادت الخطيئة.

فى تجاربها الأخيرة أصبحت أكثر عدوانية ووحشية، أعتدت على خطيبها الذى ظبطته مع امرأة أخرى، كادت أن تودى بحياته لولا تدخل الأشخاص المحيطين.

كادت أن تجن، حالتها النفسية ساءت، ذهبت للأطباء النفسيين، عاشت سنوات وحيدة، لم تعد تتحمل المزيد من الخيانات. بعد عام من العلاج، أتى لها عريس لا تشوبه شائبة إثر توصية الأقرباء.

تحيا حياة هنيئة مع الزوج الوقور، يمتلك محلاً لبيع قطع غيار السيارات، يعمل بكد لتزداد تجارته، قلما يأخذ إجازة، لا يبعده عمله عن الاهتمام بزوجته، فهى وجه الخير عليه على حد قوله،

كلما سنحت له الفرصه، يسافران سويا داخل أو خارج البلاد، يغدق عليها بالمال، تتسوُّق من المحلات العالمية، تعود سعيدة حامدة لله عن تعويضها بمثل هذا الزوج.

فى يوم عاد من عمله منهكاً، وضع المحمول جواره على السرير ونام سريعاَ، الشيطان يعمل بنشاط، ليس لديه عمل آخر، فتشيِ فى تليفونه، مؤكد لن تجدى شيئاً، من باب الاحتياط ليس إلا، تمد يدها على التليفون، تتذكر أنه وفي لها منذ عرفته، تبعد يدها، تستغفر الله، لكنه لا يكل ولا يمل، لن يعرف أنك بحثتى وراءه، إن ساءت الأوضاع، قولي له أنا أحبك ويجب علي المحافظة عليك بكل ما أوتيت من قوة. سحبت التليفون وخرجت من الغرفة حتى لا يستيقظ من اضاءة المحمول.

وجدت ما لم تكن تتصور، نمر تليفونات لسيدات وفتيات، رسائل حب وهيام، صور نساء عاريات، لم تتمالك نفسها، كل الخيانات السابقة أصبحت كفيلم سينمائى فى عينيها، ما زال الشيطان يجهز الطبخة، ضعى له سُم فى الصباح، لكن كيف تتحملين الوقت حتى الغد؟ السكين الكبير فى المطبخ، عليكى بسنِّه جيداً، وضعيه على النار حتى يغور فى الرقبة سريعاً، معكِ دليل البراءة، لا تخفِ.

استرجعت كل الخيانات السابقة، بدا لها فى صور كل من خانوها، بل تجسد فى كل القصص التى سمعتها فى حياتها، بدأت تتشنج، تصطق أسنانها بعضها البعض. بالفعل جهزت السكين، دخلت الغرفة تتسحب، أضائت نور الطرقة لتراه دون قلق، زُلت قدمها، وقعت أرضاً، أثارت ضوضاء اربكت الخطة، لم يستيقظ، نادته مرات ولم يُحرك ساكناً، أقتربت منه، وضعت يدها على قلبه، لقد مات بالفعل دون أن تفعل شيئاً.

– أحمدك يا الله، لم تُرد لى أن أدنس يدى بالدماء.

فى صباح اليوم التالى، أقامت مراسم العزاء، تشعر بالفخر أنها تخلصت من مدعي الفضيلة، جرس تليفون البيت يرن.

– آلو

– محل "فى إيد أمينة" ، (معاك تليفونك لحد ما نصلحولك) لإصلاح التليفونات المحمولة. لقد تم اصلاح تليفون الباشا، ممكن يبعت أى حد يستلمه، بس ما ينساش يبعت العده اللى ادينهاله.

شرف وعزيز

– فيها إيه لو الواحدة تخرج كده؟

تنظر لنفسها باستحسان فى المرآة، ترتدى فستانا طويلا يكاد يلامس الأرض، حمالات رفيعة على الكتف تظهر زراعيها بالكامل، رقبتها وجزء مما يشتهيه الرجال، أغلب الرجال تغض النظر لترى هذا البقعة المباركة وهى تصطنع الاحترام.

– ما الأجانب بيلبسوا لبس أنقح من كده وعايشيين حياتهم عادى،

يعنى حتة القماش دى هى اللى هتدخلنى الجنة!

تستكمل ارتداء ملابسها لتختفي كل الخيرات عدا الوجه والكفين وهى متأففة ، تنظر الى (صباع الروج)، تضغط على شفتيها، تحمل حقيبتها، تذهب الى المدرسة.

تعمل مدرسة لغة عربية للشهادة الابتدائية، لم تتزوج بعد، تسكن مع جدها من أبيها، سافر والداها منذ سنوات للعمل بأحدى الدول العربية.

آنسة نوال تعرض عليها الذهاب للسينما بعد انتهاء المدرسة،

– وأشمعنا انهاردة؟

– عشان العرض الأول للفيلم الجديد للنجم .... .

– وايه يعنى؟

– تعالى ومش هتندمي.

وافقت وذهبت معها فى حفل السادسة.

قبل دخول السينما فاجأتها بدخول مطعم البيتزا الشهير .

– ايه ده احنا آخر الشهر!

– ماتقلقيش تعالى بس.

توجهت ناحية منضدة يجلس عليها شابان.

– أعرفك يا ستى ، شرف وعزيز، ودى شادية صحبتى الروح بالروح.

أومأت مرحبة، وسحبت نوال وتوجها للحمام.

– رجالة يا نوال، أنا ماكنتش أعرف أنك كده.

– استهدى بالله كده، هنتعزم على بيتزا وهندخل السينما ببلاش، عايزه ايه كمان؟

– مش فكرة ايه كمان، انت ضمناهم، ماحدش هايقل أدبه فى السينما.

– طبعا ضمناهم دول كانوا مع ابن خالتى فى الجامعة.

– ماشى يا ستى ربنا يعدى اليوم ده على خير.

تم التعارف ، بعدما أنهوا الطعام توجهوا للسينما. مقاعدهم فى وسط الصف الأخير، جلست وجوارها نوال، وعزيز فى الكرسى الملاصق لنوال وشرف جوارها من الناحية الأخرى، قبل أن تبدى استياءها، أجابت نوال السؤال الذى بدا فى عيني شادية.

– ما هو لازم كده، أمال يسيبونا على الحرف نبقى عرضة لأى حد؟

– ما أخدتش بالى معلش.

أول ما انطفأ نور الصالة، بدأ عزيز بوضع يده على كتف نوال، وبدأ يهمس فى أذنها بكلمات عذبة، لم تعترض نوال بل مالت ناحيته أكثر.

شرف يريد أن تبدأ جولته الأخرى، لكنه أكثر أدبا من عزيز. هى تسمع كلمات العشاق جانبها، صوت نفس نوال الذى يصيح بصمت، بدأت الغريزة فى التحرك داخلها، تكتم أنفاسها حتى لا يتبين شرف ما هى فيه.

تشجع شرف ووضع يده على يدها. لم تمانع، كانت مستعدة تمام الاستعداد. فلنتخيل الفقرة القادمة حيث تعجز كلماتى عن وصفها.

أنتهى الفيلم، لا يتذكر أحد أى مشهد فيه، كانوا يخرجون مشاهدهم بيدهم.

قبل الرحيل، طلب شرف رقم محمولها.

– خده من نوال.

– عزيز لسه عارفها امبارح ومليش كلام معاها الصراحة.

الأجواء لا تطمئن

كم تمنى فى هذه اللحظة ان تنشق الأرض وتبتلعه، شعر ببرودة الجو حقاً، حُمل بأثقال ليست فى الحسبان، تعرى أمام الجميع، اتهموه بالمجون، كل ذلك حدث إثر كلمة غير مقصودة لفظت وسط الكلام، حاول تدارك الأمر بقول أى شىء محترم على نفس الوزن، لكنه لم يجد سوى كلمات تزيد الأمر تعقيداً.

بدأ فى الاعتذار، أنقذه أراء بعض الحاضرين فى أنها زلة لسان، تمسك بهذا الكلام كما لو كان غريقا وجد لوحا خشبيا وسط الأمواج.

يعرف تمام المعرفة أنه خط أحمر، لا يجوز الاقتراب منه أو من عائلته، فوجأ بدخوله عليهم، مبتسما تلك الابتسامة الغامضة، لا تعطى انطباعاً، مريبة، يجيد اِشعارك بالعكس، تظل فى حيرة، هل يعلم ويتغاضى، أم مغفل ولا يعلم.

أول من وجه له الكلام كان هو.

-أخبارك وصلاني، أستمر على ما أنت فيه، يمكننى الاستفادة منك.

-مش واخد بالى سعادتك.

-لأ واخد، أنا بحبك ماتخفش، هتقابل الجماهير بشخصية مختلفة الفترة القادمة.

-تحت أمر سعادتك.

بالفعل صعد على منابر، نظم وقفات احتجاجية، لم تخلو قناة من برنامج يكون هو بطله. كانت تأتيه الأوامر، يُلقن ما يقول.

لم يفتح الطريق على البحري، كل شىء مدروس بشكل مخيف، لن تسقط بلد يدار بمثل تلك العقلية.

خبر إختفاء عضو مؤثر فى المجتمع فى ظروف غامضة .. خاف من خاف .. رجع عن قراره من رجع .. عاد الهواء العليل يملأ الأجواء.

مشينة

سن الشباب الحديث، لم يلوث بعد، ما زال بخيره، رسَمت خطة لتنال ما تريد.

مات زوجها منذ عام، لم يتقدم أحد لها، من يضحى بعمره مع امرأة زاع نحسها؟ كل من تتزوجه يموت خلال شهور معدودة، حدث ذلك ثلاثة مرات خلال السنتين الماضيين.

أقامت دروس تقوية فى منزلها، تبحث بين الطلبة عن الفريسة الجديدة .

–تيجي السبت اللى جاي، أنت ضعيف فى النحو، هاديك حصة أضافية عشان تلحق زمايلك.

يأتي الطالب الذى أختارته منفلتاً، ليجدها ترتدي روب يكشف أكثر مما يخفي، تعتذر منه، أصابها الصداع منذ أستيقظت، تتتابع الحيل للأيقاع بالفريسة، كاميرات مراقبة فى اماكن خفية، يبدأ الدرس، لا يستمر إلا لدقائق معدودة ويتحول المكان لغرفة نوم، تأخذ ما تريد، يشعر بالتميز عن أقرانه غير مدرك أنه تم تصويره فى أوضاع مشينة.

تكرر المشهد مع طلبة كثيرون، نفس الحيل، نفس التهديدات، منهم من يستمر، منهم من يرفض الأستمرار مع وعد أن لا يحكي ما حدث لأحد، معها صور، سترفع عليه قضية اغتصاب.

أتاها يوماً طالب جديد لم تره قبل ذلك، وسيم، طول بعرض، عيناه فيها سحر يجذب كل من يراه، بدأت تنصب الشباك، وقع فى الفخ، استدرجته لعمل المعصية، قبل أن تنال منه، صرخ فيها، فلتكفي يا أمرأة عن تضييع الشباب وتوجيههم لما لا ينفع أبداَ.

-انت بتكلمني كده ازاى؟

-كل مواضيعنا متسجلة صوت وصورة، معاكي الملازم نور الدين من مكافحة الرزيلة. دلوقتى تجيبي كل صور العيال اللى عندك، وأعرفي انك متراقبة اليوم كله، وأحسنلك تسيبى البلد عشان أنا مش هسيبك تعرضى حد تاني للخطر طول ما أنا عايش.

بالفعل قامت بتسليم كل الصور والفيديوهات، وهى تنظر فى الأرض.

-هتقبض عليا دلوقتي؟!

-المسامح كريم.

تيسير

- هُزّي إليكِ بجزع النخلة.

- لم يمسسني بشر.

- هكذا قال ربك.

استيقظت من نومها.. تشعر بحجم بطنها أكبر مما اعتادت .. وقفت أمام المرآه .. فوجئت .. هل فعلها أحدهم معها دون أن تشعر؟؟ هل هى بتول هذا العصر؟؟

هى ابنة السادسة عشر .. لم تنزلق فى أي مغامرة طيلة حياتها .. كادت تُجن.

لم تغادر الفراش .. إدعت المرض .. تسألها والدتها .. ألن تذهبى للمدرسة اليوم؟؟ ترد فى تكاسل.

- تعبانة أوى يا ماما، سيبينى ارتاح انهارده.

تتركها ساعتين لتنام وتستعيد نشاطها.

- هى لنحضر الإفطار.

- لا أريد ، أشعر بالشبع.

دخلت الحمام، أغلقت الباب خلفها، تخلصت من ملابسها بالكامل، تشعر أن حياتها قد انتهت، كيف ستواجه أبيها، أمها، أصدقائها.

تقلصات شديدة فى معدتها، أهذا هو الطلق؟ لا تستطيع الصراخ، حتى لا ينتبه من بالبيت، هى فى انتظار رأس الجنين تطل عليها من بين فخذيها، جلست على قاعدة الحمام، تدعو فى سرها أن يسترها الله.

حضّرت موس حلاقة، لتقطع به الحبل السري، المياه الساخنة، هى لا تعلم ماذا تفعل بها، لكنه طلب أساسي فى كل حالات الولادة.

- كيف آتى بجزع نخلة الأن!!

كميات لم ترها من قبل تخرج منها كأنما استجاب الله.

يتحول المشهد من امساك الى تيسير فى لحظة واحدة، تحمد الله، تذهب لمساعدة والدتها فى تحضير الافطار .

البدلة السودا

– أعرِّفِك.. مراتى الجديدة.

– جديدة!! .. ده أنا هأخرب بيتك.

– روحى إرفعى قضية خُلع ولما تكسبيها إبقى إخربي براحتك .. أنا عن نفسي بقى عندى بيت جديد.

كل ذلك والعروسة الجديدة تنظر فى الأرض، لا تريد أن تكون طرفاً فى النزاع.

– أنت تتجوز دى عليا، (مشيرة إليها بإصبع يتحرك صعوداً وهبوطاً)

تفقد العروسة أعصابها

– مالها دى يا حياتى، أحلى منك وأصغر وأطول، ومش هنكد على راجلي أبداً، يعنى انت لو حَكم بينا هتختارينى أنا.

– اختارِك برص وعشرة خرس، إنتى ألوان يا ماما، ادخلى إغسلى (المكياج) اللى على وشك وإبقى اتكلمي، مش مستخبية

ورا بودرة، دنتى لو بتمحرى حيطة مش هتحطى البويه دى كلها. (تشعر بالنصر)

– إنت هتشوف مراتك حبيبتك بتتهزق ليلة دخلتها وما تعملش حاجة؟

– لأ طبعاً، هه ، هه ، هأعمل أهه. "أدخلى أوضتك وماسمعش صوتك تانى ، البيت بيتى، ومعايا قسيمة الجواز".

– القسيمة دى تبلها وتشرب مايتها، أنت ناسي أنى أم، ولولد كمان.

– ماقلتش حاجة غير أرفعي قضية ولما تكسبيها تعالى خدي حقوقك.

– تكسب إيه يا عينيا، أنا مش واخده بالى، أنت مش كاتبلى الشقة دى بإسمي ومسجلها فى الشهر العقاري انهارده؟

– وإنت داخله على طمع من أولها؟

– مش طمع يا حبيبي ولا حاجة، أنا أتوعدت وعود، وبناء عليها قبلت اتجوز راجل متجوز.

يشعر أنه تسرع بأدخال طرف جديد فى المشكله، لم يحل شيئاً وأنما زاد الأمر سوءاً.

أفاق من شروده، وجد نفسه جالساً وحيداً علي السرير، جواره بدلة جوازه التى لم تعد على مقاسه.

ميراث

– ابنها ده لازم ينزل. أو هى تموت.

–ما تقلقوش يا جماعة، أنا مظبط دكاترة وممرضات المستشفى كلهم.

– وأنت مش عارف أن العمدة مستنى الواد ده بفارغ الصبر.

– يعنى إيه؟

– يعنى هيأمن المستشفى كلها.

– سيبوها على الله، ده ورثنا ومش ممكن يضيع تانى أبداً.

تنهدت زوجة العمدة، قائلة له فى خوف.

– يا عمدة ابني الناس كلها عينها فيه، أنا خايفة أوى.

– عامل حسابى، أنت والواد فى آمان.

سافر العمدة وزوجته للعاصمة فى انتظار موعد الولادة

بعد أيام ...

آلام الوضع، يتحرك الجنين بنشاط، يريد الخروج للدنيا.

– مش قلتلك ما تقلقيش، المستشفى دى أكبر مستشفى ولادة فى البلد، لسة جايبين نظام بملايين ، اسورة تتلف على إيدك واسورة على رجل المولود، ومتراقبين ٢٤ ساعة.

بعد إجراء العملية نـُقلت الزوجة لغرفتها، أما الجنين فكان فى الحضانة حسب أمر الطبيب.

ذهب العمدة لقسم الحضانات للاطمئنان على ابنه.

أخذه فى أحضانه لدقيقتين، اطمئن لوجود الأسورة على قدمه.

أخذته الممرضة وأعادته للحضانة.

أتى الطبيب لغرفة الزوجة.

– عايزة اشوف ابنى يا دكتور.

– أول ما تقدرى تنزلى، الممرضات هيساعدوكى وتروحى تبصى عليه.

تحاملت على نفسها وذهبت مع زوجها لترى المولود.

– حبيبى فى أنهي حضانة؟

– اللى فى آخر الغرفة دى.

تحركت وكلها لهفة لترى قرة عينيها، وصلت، أخرجته لها الممرضة، صرخت بأعلى صوت، "الواد قاطع النفس" .

محبة

شعرت بدوار، هبوط فى ضغط الدم، سقطت أرًضا، هذا كل ما أتذكره.

هناك من يحاول افاقتى، يربت على يدى، ينعش قلبي، ففتحت عينيا، ويا للمفاجأة ..

الشخص الذى أعادنى للحياة نسخة طبق الأصل منى، بل هو أصل أيضاً، لم أستطع تحمل المشهد أكثر من ذلك، أغمضت عينى، أنا فى كامل يقظتى، أستطيع الجمع والطرح، فضلت أن أبقى مغمض العينين فترة لعل مسئول توزيع الأدوار على الناس أخطأ لوهلة. بقيت على هذا الوضع حوالى خمس دقائق، استجمعت شجاعتى، فتحت عينى، ليتنى لم أفعل، إزداد الأمر سوءاً، إلتف حولى بضع شخصيات كلهم أنا، منهم الصغير، الشاب، الكبير ذو الذقن البيضاء، كلهم أنا.

ليس أمامى الآن إلا الحوار. سألتهم جميعا من أنا ومن أنتم؟؟

أجابنى كبيرهم:

– الموضوع بسيط يابنى أنت فى البرزخ.

– اللى هو إزاى يا حج؟

– أبسطهالك، كل إنسان خلقه ربنا خلق منه كتير، هى بتبقى استنبة أسمها إسماعيل مثلاً، الإستنبة دى بتستخدم كل كام سنة على حسب الوفيات فى الموديل ده، بتعديلات بسيطة زى العربيات بالظبط، تغير شكل الفانوس، الشبكة الأمامية، تكبر فتحة السقف، فكل الناس اللى انت شايفهم دلوقتى من نفس إستنبتك، وفى اللحظة دى، فى منهم أغم عليه زيك، وفيه اللى دخل فى غيبوبة، كلنا بنتجمع فى البرزخ نحاول نساعد بعض، أنا مثلا جيت هنا أكتر من مره.

– يعنى أنا مت خلاص؟

– أنا قلت كده ! كل اللى قلته إنك فى مرحله لم يبت فيها فى أمرك حتى الآن، ممكن تقعد شوية فاقد الوعى، ممكن تصحى حالاً، كله بإيد ربنا.

– يعنى انت اسمك إسماعيل؟

– يا سيدى ده كان مثل. أنا أخوك إبراهيم.

– أنت إخوان؟

– هنا مفيش التصنيفات الغبية بتاعت الأرض، هنا كلنا إنسان.

– طب بما إنك قديم تنصحنى بإيه لو ربنا كاتبلى أرجع الدنيا تانى.

– حب كل الناس ...

أفقت، وجدتنى فى سيارة إسعاف، الممرض الذى كان معى اسمه إبراهيم.

استريحوا

استريحي ها هنا، سأتجرأ وأفعلها، لن أغيب طويلا. دخل محل مجوهرات شهير، أخذ يطالع المعروض بنظرة خبير، طلب أن يوزن قطع كثيرة، قلادات، سلاسل، خلاخيل.

يُشعر الباعة أنه زبون له ثقل، أهتموا به، تنافسوا على من يخدمه، أخذ العدسة المكبرة من أحدهم، تطلع لفص ألماس ثمين، طلب خصم خاص على وعد أن يكون زبون دائم للمحل.

عند الدفع، أخرج بطاقة دفع الكترونية، طلب منه البائع ادخال الرقم السري، أدخله، لحظات وخرجت ورقة من الماكينة بها رسالة، لم تتم العملية، رصيد غير كافى.

لعن الكارت والبنوك الأغبياء، اليوم قمت بايداع مليون دولاراً، كيف لم تسجل فى الحساب حتى الآن؟؟

أخذ يشوح بيده بحركات عصبية مفتعلة.

فى أثناء تلك الربكة قام بتبديل الفص الأصلى بفص زجاجى له نفس الهيئة، لم يشعر أحد أن شيئا قد حدث.

أخذ الكارت على وعد أن يأتى غداً بعد زيارة البنك ليعرف ما هوسبب التأخير.

عاد لها .. وضع الفص أمامها .. صورة عروسته .. تركته .. لعجزه على توفير متطلبات الزواج.

اشتياق

جوار زوجى نائمة، أفكر لمَ تباعدنا، لا يفصلنا سوى سنتيمترات، أشعرها أميال، لم يلمسنى منذ شهر مضى، تذكرت أيامنا الخوالى، ابتسمت رغما عنى، أعلم أنه يحبنى، من يدرى ربما العيب مني.

راجعت مواقفنا، كيف كان رجلا حين أحتجته، أيضا يكون طفلا فى أوقات كثيرة، لن يستطع العيش دونى، علي أن أبدأ فى الصباح، أوقظة بقبلة، أحضر الإفطار، أناديه، يأتى إلى المطبخ، أحتضنه، أضع النوتيلا على شفتيه، نتضاحك كزمن ولى لكنه فى الإمكان.

أثناء تقلبه من وضع لأخر لامست يده يدى، فوجئت به يحتضنها بحرارة، بحنين المشتاق لوعة، شبك أصابعه بين أصابعى، لم ينبس ببنت شفة، كل أحاديث العشاق كانت تقال فى صمت الظلام.

بقى الوضع على ما هو عليه لدقائق، أزاح الغطاء، ذهب للحمام، لم تزل اليد متشبثة بى .. إنتابنى خوف عارم .. هل هو الجاثوم الذى قرأت عنه .. لن أسمح لشيطان أن يأخذنى من زوجى ..

كل أفلام الرعب الأمريكية تحولت لصور تمر أمام عينى .. لا أستطيع النطق رغما عن محاولاتي.

تشجعت .. أخذت القرار .. سأمسك باليد بقلب من حديد .. ثقتى بربي ستهزم أى شىء كان .. بالفعل وضعت يدى الأخرى على يد الكائن الملاصقة ليدى.

المفاجأة، لم أجد سوى يدي الأخرى، يبدو أني افتقدت لمسته، لم يرد جسمى التنازل عنها سريعاً.

الآخر

أراه يدخن سجائره .. يداعب شعيرات ذقنه .. أكاد أن أسمعه .. أشعر بما يجرى فى ذهنه .. يثبت لحظات .. أقلق عليه .. يستمر فى التدخين .. أتنفس الصعداء .. يبدو موضوعه كبير .. لا يستطيع حله .. يفكر بعمق .

يفصلنا لوح زجاجى عسلى اللون، لولاه لجلست معه، أضع همى على همه .

يضع إبهامه على خده .. سبابته يزن رأسه حتى لا يسقط .. صورته غير واضحة.. يرفع نظارته أعلى أنفه .. يضم شفتيه بنفس الأصبعين .. أخذت علبة سجائرى .. قمت تاركا إياه فى مصيبته .. قام هو الآخر .

الرسم

علقت على لوحة نشرها صديق لي لرسامة تشكيلية ، "أن الرسم تأثيره أقوى كثيراً من الكلمات، يلمس المشاعر دون بذل جهد سوى النظر مثله مثل النحت وما شابه من فنون"

فوجئت بصاحبة الرسمة العبقرية تطلب صداقتى عبر موقع التواصل الإجتماعى، وافقت على الفور، شابة فى أواسط العشرينيات، جمال ملكات اليونان ، بيضاء ، شعر أسود سواد الليل ينسدل على كتفها برقة تسمعها، عينان عسليتان تقف أمامها ولا تحرك ساكنا، علمت منها أن هناك معرض للوحات التى أعجبتنيِ قريب من بيتيِ سينتهيِ غداً، وعدتها أن آتى لرؤية صاحبة الأنامل المشعة التى شكلت كل ذلك الإبداع. صمتت دقيقتين.

–يشرفنى حضورك.

أفكار تجىء وأفكار تذهب ، هل سيجمعنا الفن فى بيت واحد؟ هل ستتركنى وتقوم فزعة لتكمل الرسم الذى بدأته ليلاً؟ أنادى عليها، وهى فى ملكوت آخر، لن أتضايق، سأشجعها على الإبداع، غدا

سأفعل ما يجب، أذهب للمعرض، أتعرف عليها، أهديها باقة ورود، سأترك الموضوع لله، إن كانت مكتوبة لى فقد أتت .

اثناء تفحص بياناتها على الانترنت وجدت صورة لها، تحمل لوحة تكريم باسم مختلف عن من طلبت الصداقة، سألت هل أنتِ (ن. خ.) أم (س. ح.) ، الإجابة كانت صادمة.

–أنا والدة (س. ح.) هى من أبدعت ورسمت كل الأعمال التى فى المعرض.

– وأين هيِ؟

–لم يقدر لها أن تحضر أول معارضها، اختارها الله لتكون جواره، كم تمنت أن ترى لمعة عيون الناس أمام لوحاتها.

بكيت كما لم أفعل من قبل، أجهشت فى البكاء كنت متأكدا أنها ترى دموعيِ على أمل لم ولن يكتمل.

ذهبت كما وعدت، لكن لتعزية الأم.

ازعرينة

التصوير الفوتوجرافى هوايتى، أقوم بحضور أفراح، التقاط صور أحسبها جيدة، فى أحد الأفراح قابلت راقصة بالية روسية، أعجبها أسلوبى فى التقاط المشهد، اتفقت معى على عمل (سيشن) لها وهى تؤدى حركات البالية جوار أماكن فى قلب القاهرة، أعجبتنى الفكرة جدا، تم الاتفاق على الموعد.

حضرت الكاميرا النهارية، جدول الأماكن المقترحة، تقابلنا على كوبرى قصر النيل، أخذت صورا لها والأسد يقبل أصابع قدمها، أخرى وهو يحاول افتراسها، أرادت أن تأخذ صورة على الرصيف الذى يفصل الطريق ذهابا وايابا، اقترحت القدوم باكر حتى نتخلص من زحام السيارات، أصرت على انها تريدها لقطة طبيعية والسيارات تمر جوارها، وجدتها فرصة لاثبات تحضر المصريين.

وقفت على ساق واحدة وتمسك الأخرى بيدها، تمر سيارة مسرعة جوارها، يختل توازنها، تسقط أرضا، يتجمهر الناس من كل صوب وجهة، سيدة تقول "تستاهل باللى هى لابساه ده"، آخر يقول "هى أكيد من عبدة الشياطين"، حاولت تدارك الموقف وتهدئة الناس، فشلت، أنهى الموقف سيارة شرطة، نزل منها الظابط.

– ايه الأزعرينة دى، فى إيه؟

– الحمد لله إن الشرطة جت، دى سايحة روسية بتلعب بالية وكانت حابة تتصور على الكوبرى، وحصل اللى حصل.

– معاها باسبورت؟

– معاها فى الفندق اللى نازلة فيه.

– أنا بقول دلوقتى.

– لأ يا فندم.

– أنت معاك بطاقة؟

– تمام يا فندم، مصرى وزى الفل.

– طب خد بعضك انت وهى وأركب البوكس اللى هناك ده، القسم قريب، محضر سريع، نتحقق من جنسيتها واتجاهاتها ، وترجعوا علطول.

داخل القسم، فتح المحضر.

– أساميكم؟

– صابر والاجنبية اسمها هيا.

–ثلاثى يا روح ... .

–صابر عبد الدايم المصرى وهى أسمها هيا فريدوم أرم سترونج.

– السن والمهنة؟

– ٣٥ سنة، أعمل فى بنك، وهى ٢٣ سنة، سائحة من روسيا ترى معالم البلد.

– موضوعك انت خلصان، هى بقى لازم تبعت تجيب الباسورت بتاعها، يمكن ليها يد فى موضوع الطيارة الروسية.

و احتمال تطلع تعرف ريجينى الايطالى.

و ممكن تكون بتساعد على تهريب آثار البلد.

و جايز تكون بتهرب مخدرات وهى داخلة.

عندنا مصايب كتير محتاجة حد يشيلها.

لو ملهاش ضهر يبقى سامحنى هى تقربلك؟

– لأ بس ..

– ما بسش خليها تكلم حد يجيبلها الزفت.

قامت بالاتصال بصديقتها الروسية، وعدتها بالقدوم فوراً.

بعد استلام الباسبورت تم الاستعلام عن صاحبته، تبين أنها لها معارف من وزراء روسيا.

–نعتزر أستاذ صابر، انت عارف الأجواء دلوقتى، لازم عينينا تبقى فى وسط راسنا.

– يعنى مش هتشيلوها قضية !

– أنت صدقت؟ أنا كنت بهزر معاك.

القصر

لم يمر سوى أشهرٍ قليلة على زيارتى الأخيرة، توفي عمي، ذهبت مهرولاً لأشدد بأزر زوجته، نزلت سلالم القصر مرتدية ملابس سوداء وعلى كتفها مولود صغير.

– البقاء لله.

– ونعم بالله.

– من هذا !!

– إنها إبنة أختى.

تنفست الصعداء، تذكرت حبيبتي، استهزأت بى، من فقري وقلت حيلتي ، كيف أربط نفسى بمن لا حول له ولاقوة، ما من بادرة أمل فى طريقه، أمثالك حرم عليهم الغرام.

عرضت عليها الزواج، وعدتها بأن الظروف ستكون أفضل مع الوقت، سنتحمل سوياً، سنؤجل الانجاب لعامين، لم تمهلنى أن أشرح لها ظروفى، ولا أنى سأرث عمى الثري بعد عمر سيحدده المولى، لم تسطع معى صبراً.

ودعتنـى، وافقـت علـى أول شـخص لديـه شـقة تمليـك وسـيارة متواضعة، هذا لا يمثل نقطة فى بحر أملاكى المتوقعة.

ذهبت للاطمئنان على عمى فى عزبته، عرفنى بسيدة جميلة شابة على إنها زوجته الجديدة. لم أكترث، عمي بلغ من العمر أرزله.

مر شريط حياتي أمام عيني فى ثوانى. تداركت الموقف سريعا، تنحنحت.

– ألن تعرفينى على أختكِ.

– بالطبع، حين تنتهي من إرضاع إبن عمك رحمه الله.

الشك

– وجدتها يا صديقى، المقال الذى سيُخلد اسمى فى التاريخ، سيتذكرنى العالم، أريدك أن تعطينى رأيك قبل أن أرسله للصحف.

– كلي أذان صاغية.

– إسمع يا سيدى.

تختلف الطبقات، كل طبقة تشعر أنها فى أفضل حال إلى أن تصادف طبقة أعلى، فأعلى، تعرف حينها أنها طبقة موهومة أنها تعيش رغد الحياة. يبدأ الحنق، تبدأ الكراهية، لماذا هم غيرنا!؟

تساؤلات كثيرة بلا اجابات، يبقى الحال على ما هو عليه، ننتظر الفرصة، نتمحك فى من هم أعلى منا، نوهم أنفسنا أن الرؤوس قد تساوت ، نسهر فى محافلهم نأكل وتشرب معهم، ننسى الفوارق أو نتناساها لحين، ما أن ننفرد بأنفسنا حتى يعود الغل.

سيارات فارهة، شقق مطلة على النيل، أموال طائلة، سلطات نفاذة، جبروت، ما يطلب ينفذ على الفور، دون جمعيات، دون سلف أو دين.

الغني يزداد غنى والفقير يزداد فقراً، الأسعار تتضاعف بسرعة غير مسبوقة، كل شيء يزيد عدا أجر المواطن المجبر أن يظل مواطن، هو لم يختار، فتح عينه على صراخ إخوته، ومشادات والديه. " يعني أسرق!!" الجملة المتكررة أول كل شهر، يتفاجأ الزوج بأن راتبه لم يعد يكفى أساسيات الحياه. وما المانع، لقد أجبرتنى الحياة على ذلك، سيسامحنى الله، لم يكن لدى بديل.

مع أول سرقة يكتشف متعة لم يتخيلها من قبل، سهولة ، يسر، بساطة ، كل ما هنالك أن يكون صوته أعلى من صوت ضميره، ذلك النكدي، وجه الفقر.

تتحول المعادلة الآن: من استطاع كبت هواه فقد نجا، ومن سيطر عليه هواه فقد خبا، لن نعيش مرتين، فلنستمتع قدر المستطاع، على الاجابة أن تكون حاضرة، الإنسان ضعيف، لا يكلف الله نفسا الا وسعها، لمْ اتحمل، قد ضاق الثوب واهترأ، لماذا لم تسرق قدر احتياجك فقط؟؟ إن البحر يحب الزيادة، وما سأتركه سيهبط

عليه أخرون، أنا أولى، الإنسان أنانى، لا يشبع، صفات خُلقنا بها، كل شىء مكتوب، الموت، الحياة، كل شىء مكتوب، نتقمص شخصية خلقت لتؤدى دوراً فى مسلسل بطول الدهر.

قتل قابيل هابيل فى بادىء الأمر، سمي هابيل كذلك لأنه طيب، راضٍ ، صفة الهبل هى المسيطرة عليه، لم يكن هناك غير أنثى واحدة خلاف أمه، طبيعة الرجل الميل للطرف الآخر، هل من الممكن أن يفكر فى أمه! أو تكون الأنثى لقابيل وهابيل بالتساوى، أو يقتل أخاه، اختيارات قاسية فى بداية البشرية، لم يمروا بتجارب، لم يأخذوا محاضرات تنمية بشرية، ماذا يفعلون؟ لماذا نلوم قابيل؟ هو لم يفعل جريمة، بالمنطق هو تخلص من الشخص القابل للتفاعل مع الانثى الوحيدة، فإما ينتحر ، إما يقتل ويكون اقترف معصية، مثل أباه تماماً، لو لم يوجد تحذير الشجرة لعاشا ونشأنا فى الجنة ويا دار ما دخلك شر، لما نلوم حوا؟ أياً كانت الأسباب فهى مكتوبة، لم يخلق الله الأرض والشمس، الجنة والنار لا سبب. كانت ستخطىء فى كل الأحوال. ويأتى المخلص ونتنافس على من يكون، أعيسى عليه السلام أم محمد صلى الله عليه وسلم، اليهود لهم إله خاص، هم الشعب المختار وكلنا كمبارس، يالا العجب!

علينا إذن أن نحترم عقلية من يعبدون البقر.

– ها، أعطنى رأيك بصراحة دون نفاق.

– بمنتهى الأمانة؟

– بمنتهى الأمانة.

– قبل أن تراسل الصحف، عليك أن تفعل شيئين فى غاية الأهميةً.

– ما هما؟

– تقطع علاقتنا ، وتنسانى تماما كأن لم أكن.

سيتذكرنى العالم

فاجأنى صديق أحسبه التطور العلمى مجسداً فى شخص بقوله:

– مبروك يا صاحبي هتبقى نجم الألفية مش بس نجم الجيل.

– هما أعلنوا تصويت المسابقة اللى دخلتها؟

– مسابقة إيه! .. انت كده كده خسران.

– أمال بتبارك لى على إيه؟

– ابتكار جديد هيطور اساليب النشر بشكل عام.

– قول يا عبقرينو.

– قدرت أوصل لطريقة اختراق وأبعت لكل اللى عملوا إعجاب لأغنية على النت ما أشاء.

– وبعدين !!

–ولا أبلين ، عندك أغنية ------ واصلة لاتنين بليون ونص مشاهدة يعنى تلت العالم تقريبا لما نسمعهم صوتك اجبارى كل يوم هيعجبوا بيك غصب عنهم أو ع الأقل ١٠٪ وده المطلوب، العرب كلهم شاكب راكب ٣٠٠ مليون يعنى هتوصل بسرعة الصاروخ.

–تفتكر الكلام ده ممكن؟

-يابنى كل حاجة كبيرة كانت فكرة صغيرة فى البداية.
سيبك لو حتى ما عجبهمش صوتك، هيتكلموا عليك، هتبقى حديث المدينة وكل مدينة وتطلع فى الفضائيات وهتشتهر ببساطة، ما عندك ___ كوميدى اشتهر عشان دمه يلطش، انت مش اقل منه فى حاجة.

-هنبدأ امتى ؟

-حالا ، انت مش مسجل اى اغنية؟

- لأ

- طب يلا معايا نروح جنينة الفسطاط ونسجل فيديو كليب بموبايلى.

- استنى ألبس لبس حلو.

- مش هتفرق تعالى زى ما أنت كده.

بالفعل قمنا بتصوير مشاهد مقلدة لا جديد فيها بصوتى، قمنا بالأستعانة بالمرجيحة التى أشتهرت مؤخراً، تم تجميع الفيديو فى المساء ونشره لمعظم سكان الكرة الأرضية.

فوجئ كل من استيقظ من نومه برسالة على محموله أو الحاسب اللوحى أو أية وسيلة عرض بالفيديو كليب الجديد لنجم الألفية.

أعجب من أعجب، عمل عدم متابعة من عمل، زاع اسمى بسرعة البرق، استقبلت مكالمات تهنئة كثيرة، الفرحة كانت أكبر من أن تصدق، أكثر مكالمة سعدت بها كانت من القائمين على المسابقة التى أشتركت بها مؤخرا يخبروننى باستعدادهم لانتاج أول ألبوم.

الفهرس

إهـداء ٥

تقديم ٩

عتاب ١١

هل تحممت بعطر؟ ١٥

لغتنا ١٩

مقابلة ٢١

البطانية الذكية ٢٣

انتقال ٢٥

المساواة ٣٥

الدم فى الشكمان ٣٧

البنيان ٤١

هتموت كافر ٤٣

بنت سبعة ٤٥

الوكيل ٤٩

عريس يا اماي ٥١

العقبة – لحم ٥٥

بيت جديد ٥٧
الخادمة ٥٩
البيت ده طاهر ٦٥
هاو هاو..... ٦٧
ارجوحة..... ٦٩
يوم..... ٧١
مُسيَّر ٧٥
خيانة ٧٧
شرف وعزيز..... ٨١
الأجواء لا تطمئن..... ٨٥
مشينة..... ٨٧
تيسير ٨٩
البدلة السودا ٩١
ميراث ٩٥
محبة..... ٩٩
استريحوا ١٠٣
اشتياق..... ١٠٥

الآخر ١٠٧
الرسم ١٠٩
ازعرينة..... ١١١
القصر..... ١١٥
الشك..... ١١٧
سيتذكرنى العالم ١٢١